

# الدرس 75 من شرح كتاب دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب

خالد المصلح

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. صلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى اله وصحبه وسلم وبعد فقال المؤلف رحمه الله تعالى سورة الحج قوله تعالى اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا - [00:00:00](#)

هذه الآية الكريمة تدل على ان قتال الكفار مأذون فيه لا واجب وقد جاءت آيات تدل على وجوبه كقوله تعالى فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين. الآية وقوله وقاتلوا مشركين كافة الآية الى غير ذلك من الايات - [00:00:19](#)  
والجواب ظاهر وهو ان فيه اذن فيه اولاً من غير ايجاب. ثم اوجب بعد ذلك كما تقدم في سورة البقرة ويدل لهذا ما قاله ابن عباس وعروة ابن عباس وعروة ابن الزبير وزيد ابن اسلم ومقاتل ابن حيان وقتادة ومجاهد والضحاك وغير واحد كما - [00:00:40](#)

نقله عنهم ابن كثير وغيره من ان آية اذن للذين يقاتلون هي اول آية نزلت في الجهاد والعلم عند الله تعالى الحمد لله رب العالمين واصلي واسلم على البشير النذير والسراج المنير نبينا محمد - [00:01:04](#)  
وعلى اله واصحابه اجمعين اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً يا عليم هذه السورة سورة الحج ذكر الله تعالى فيها جملة من احكام الحج ولذلك سميت بهذا الاسم - [00:01:21](#)  
ما ذكره المؤلف رحمه الله من آياتها هو اربع آيات ذكرها رحمه الله وابتدأها بقوله تعالى اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا قل ان اي اذن الله تعالى والاذن هو - [00:01:37](#)

الاعلام بالاباحة وقوله للذين يقاتلون هم اهل الاسلام من الصحابة آ من امن بالنبي صلى الله عليه وسلم بانهم ظلموا بما جرى عليهم من اذى في انفسهم واموالهم وفتنة في دينهم واخراج من بلدانهم - [00:02:04](#)  
هذه الآية ظاهرها ان الله تعالى انما اذن لهم بان يقاتلون اذن الذين اذن للذين يقاتلونهم بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير يقول المؤلف رحمه الله هذه الآية الكريمة تدل على ان قتال الكفار مأذون فيه لا واجب - [00:02:29](#)  
الحقيقة ان آ الاذن هنا هو رفع للمنع السابق دون تعرض لحكم القتال وهذا الجواب لم يذكره المؤلف رحمه الله وهو مما يمكن ان يجاب به على الآية ان يقال - [00:02:53](#)

ان الاذن هنا هو رفع ما كان من حظر سابق بطلب كف الايدي عن القتال الامثال الذين قيل لهم كفوا ايديكم هذا هو الذي كان في اول الامر ثم اذن - [00:03:17](#)

للذين يقاتلون بانهم ظلموا والاذن هنا هو رفع ذلك الحظر دون تعرض لحكم ذلك من ايجاب او استحباب او مجرد الاباحة اما ما ذكرهم الايات الدالة على وجوب القتال كقوله تعالى فاذا انسلخ الاشهر الحرم - [00:03:36](#)  
فاقتلوا المشركين وكذلك قوله وقاتلوا المشركين كافة فهذه آيات امر الله تعالى فيها بالقتال في حالات وجب فيها القتال وقد اجاب المؤلف رحمه الله وبهذا يتبين انه لا تعارض بين الايات - [00:04:01](#)

لا تعارض ولا اه اه اختلاف بين آية في سورة الحج وغيرها من الايات التي فيها الامر بالقتال المؤلف سلك مسلكاً اخر في الجواب فقال والجواب ظاهر وهو انه اذن فيه اولاً من غير ايجاب - [00:04:24](#)

فحمل الاذن هنا على مجرد الاباحة ثم اوجب ثم اوجب بعد ذلك كما تقدم في سورة البقرة في قوله جل وعلا وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا - [00:04:42](#)

تعتدوا فانه قد اوجب الله تعالى قتال الذين يقاتلون ثم قال رحمه الله ويدل لهذا ما قاله ابن عباس وعروة ابن الزبير وزيد ابن اسلم ومقاتل ابن حيان وقتادة الى اخره كما - [00:05:02](#)

نقله عنهم ابن كثير وغيره من ان اية اذن للذين يقاتلون هي اول اية نزلت في الجهاد فكان هذا في اول الامر كان اذنا دون ايجاب او دون تصريح بايجاب ثم - [00:05:18](#)

جاء الاجابة بعد ذلك قد تقدم في كلامه رحمه الله على سورة البقرة بيان وجه هذا التدرج في امر بالقتال انه جاء اولاً بالتصريح بالاذن ثم بعد ذلك جاء بالفرط - [00:05:37](#)

وهذا من من تدرج الشريعة في الاحكام وقد جاء هذا في المناهي وفي الاوامر في المناهي في الخمر فان الله تعالى لم يحرمها ابتداء بل قال يسألونك عن الخمر والمسجد قلت فيهما اثم كبير ومنافع للناس - [00:05:58](#)

ثم لما استقر الامر في التنفير منها والتحذير ومنع اه قربان الصلاة اه اه حال السكر قال تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام ورجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون. فامر باجتنابه. وكذا في الصوم وكذا في اه - [00:06:14](#)

آ عدة آ مسائل ومنها القتال فان الله تعالى تدرج في فرضه نعم قال رحمه الله تعالى قوله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور مظاهر هذه الاية ان الابصار لا تعمى - [00:06:41](#)

وقد جاءت ايات اخر تدل على عمى الابصار كقوله تعالى اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم وكقوله ليس على الاعمى حرج والجواب ان التمييز بين الحق والباطل وبين الضار والنافع وبين القبيح والحسن لما كان كله بالبصائر لا بالابصار - [00:07:03](#)

صار العمل حقيقي هو عمل بصائر لا عمى الابصار الا ترى ان صحة العينين لا تفيد مع عدم العقل كما هو ضروري وقوله فاصمهم واعمى ابصارهم يعني بصائرهم او اعمى ابصارهم عن الحق وان رأيت غيره - [00:07:26](#)

قوله جل وعلا فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور نفى الله تعالى العمى عن الابصار والابصار جمع بصر وهما يدرك به المرئيات البصر هو ما يدرك به المرئيات المحسوسة - [00:07:47](#)

واما البصائر فهو ما يدرك به المعنويات المعاني والخفيات من الامور الابصار جمع بصر والبصائر جمع بصيرة وكلاهما يتعلق ادراك لكن الفرق بينهما بالمدرک ففي البصائر الادراك للمعنويات وفي الابصار الادراك - [00:08:05](#)

للمرئيات وابيها اعظم اثرا وخطرا على الانسان البصائر بالتأکید ولذلك قال تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وهذه هي الاية بين الله تعالى فيها اخطر العمى - [00:08:41](#)

لا شك ان فقد البصر بلية مصيبة فقد البصر الذي يدرك به الانسان المرئيات مصيبة ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم من اصبته ماء في الحديث آ آ في الحديث آ الالهى من اخذت احدى - [00:08:57](#)

حبيبتيه يعني احدى عينيه فبصر فله الجنة. وهي واحدة لم يفقد الرؤيا بالكلية. فكيف اخذهما جميعا؟ لا شك انه مصاب عظيم هذا فان عمى القلب اعظم وخطرا من عمى البصر - [00:09:21](#)

لان عمى البصر يفقد بالانسان مصالح الدنيا لكن عمل بصيرة يفقد به مصالح الدين والدنيا ويفقد به مصالح الاولى والاخرة ولذلك كان اعظم خطرا وكان اشد اثرا على الانسان ان تعمى بصيرته اعاذني الله واياكم من - [00:09:40](#)

عمى البصر والبصيرة اما ما يتعلق العين هم يقولون العين التي في الرأس يدرك بها الانسان المرئيات وثمة عين اخرى للقلب يدرك بها المعنويات والحقائق وهذا تشبيهه والا فلا يعلم ان للقلب عينا لكن هذا تقريب للمعنى في ان في ان للقلب ادراكا - [00:10:00](#)

ان يدركه بالبصيرة. هذه البصيرة قوتها بقدر قوة الايمان. بقدر قوة التقوى قال الله تعالى قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني هذه البصيرة تزيد بالتقوى يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله - [00:10:28](#)

يجعل لكم فرقانا هذا الفرقان هو قوة البصيرة التي يميز الانسان بها بين الحق والباطل يقول رحمه الله يقول الله ظاهر هذه الاية ان الابصار لا تعمى لانه نفى في قوله فانها لا تعمى الابصار - [00:10:47](#)

طبعاً هذا الظاهر بالتأکید السياق يبين انه غير مقصود لان الانتفاع هنا ليس او النفي هنا لان النفي هنا ليس نفي عمى الابصار والادراك

للمرئيات انما هو نفي لحقيقة العمى الذي يحصل به كبير الضرر على الانسان. فاذا وزن عمى البصر وعمل بصيرة كان عمل بصر لا شيء ليس - [00:11:05](#)

عنده عمى البصيرة قال وقد جاءت ايات اخر تدل على عمى الابصار. كقوله اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم وكقوله ليس على الاعمى حرج بينهما فرق لقوله تعالى اولئك الذين لعنهم الله - [00:11:31](#)

فاصمهم واعمى ابصارهم هنا العمى المقصود به الابصار التي توصل الحقائق الى القلوب فتبصرها واما ليس على ما حرج فلا ما هنا من فقد الرؤية وفقد ادراك المرئيات فالذي يوهم التعارض اكثر اي الايتين الاولى والثانية - [00:11:53](#)

اولئك الذين انعموا الله اصمهم واعمى ابصارهم او قول ليس على الاعمى حرج. ايهما يوهم التعارض اكثر لا الالة الاول اليس للثاني؟ لان الثانية الابصار الحسية ومعلوم ان اه والاية الاولى ذكرت عمل ابصار - [00:12:21](#)

آآ في حق الكفار في حق الكفار مع ان الله تعالى قال فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور. على كل حال اجاب المؤلف رحمه الله عن ذلك - [00:12:45](#)

ان التمييز بين الحق والباطل وبين الظاهر والنافع وبين القبيح والحسن لما كان كله اه بالبصائر لا بالابصار كل هذه امور معنوية الحق الضار القبيح الباطل النافع الحسن كل هذه - [00:12:57](#)

امور تدرك بالبصائر لا بالابصار صار العمل حقيقي هو عمل بصائر لا عمل ابصار الا ترى ان صحة العينين لا تفيد مع عدم العقل ولذلك تجد ان المجنون يرى الخطر ويقدم عليه - [00:13:19](#)

لفقده العقل مع انه يملك بصرا يرى به الاشياء لكن لما كان هذا البصر غير نافع ما لم يكن له قيمة في منع الشر وحجزه والبعد عن المخاطر كذلك هي حال من عمى قلبه لم يكن لبصره نفع - [00:13:39](#)

ولم ينتفع بالايات كما قال تعالى وكاين من اية في السماوات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون عميت عليهم الانباء والعمى هنا عمى قلب وعمى بصر وكلما استحكم الشيطان استحوذا على القلب - [00:13:58](#)

انطمست البصائر حتى تكون الدلائل دلائل الحق عمل على اصحاب على على من وصلتهم وبلغتهم كما قال الله تعالى قل هو للذين امنوا هدى وشفاء. فاخبر الله تعالى ان القرآن هدى والشفاء هذا هو الاصل - [00:14:18](#)

لكن هذا متخلف في حق من لا يؤمن به والذين لا يؤمنون في اذانهم وقرون يمنع من السماع والذين لا يؤمنون في اذانهم وقر وهو عليهم عمى لا يبصرون اياته هذا معنى قوله وهو عليهم عمى لا يبصرون اياته ولا يعرفون اسراره ولا يقفون عند عجائبه اولئك ينادون - [00:14:38](#)

من مكان بعيد الذي ينادى من مكان بعيد يسمع ولا يسمع ما يسمع هذه حالهم فما يأتيهم من الايات والنذر والبيانات هذه آآ حالهم معها اذانهم صم واعينهم عمى ولا ينتفعون من الوحي بشيء - [00:15:02](#)

نعم قال رحمه الله قوله تعالى وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون هذه الآية الكريمة تدل على ان مقدار اليوم عند الله الف سنة وكذلك قوله تعالى يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون - [00:15:21](#)

وقد جاءت اية اخرى تدل على خلاف ذلك هي قوله تعالى في سورة سأل سائل تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة اعلم اولاً ان ابا عبيدة روى عن اسماعيل اسماعيل ابن ابراهيم عن ايوب عن ابن ابي مليكة انه حضر - [00:15:48](#)

كلا من ابن عباس وسعيد ابن المسيب سئل عن هذه الايات فلم يدري ما يقول فيها. ويقول لا ادري وللجمع بينهما وجهان الاول هو ما اخرجاه ابن ابي حاتم من طريق سماك عن عكرمة عن ابن عباس من ان يوم الف في سورة الحج - [00:16:12](#)

هو احد الايام الستة التي خلق الله فيها السماوات والارض ويوم الف في سورة السجدة هو مقدار سير الامر وعروجه اليه تعالى ويوم الخمسين الفا هو يوم القيامة الوجه الثاني ان المراد بجمعها يوم القيامة - [00:16:37](#)

وان الاختلاف باعتبار حال المؤمن والكافر وبديل لهذا قوله تعالى فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير ذكر هذين الوجهين صاحب الاتقان والعلم عند الله تعالى قال جل وعلا في هذه الآية - [00:16:57](#)

وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون وهذه الاية في سورة الحج ولها نظير في سورة السجدة يوافقها عددا واه معنى قال الله تعالى في سورة السجدة يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون - [00:17:18](#) ما في سورة الحج مطابق لما في سورة السجدة وفي سورة اه المعارج ذكر الله تعالى عدا اخر مختلف عن هاتين الايتين فقال تعالى تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره - [00:17:48](#) الخمسين الف سنة مما تعدون خمسين الف سنة هذه الاية لا خلاف بين العلماء اية سورة المعارج لا خلاف بين العلماء ان المراد بها يوم القيامة فلا خلاف بين اهل العلم في ان طول يوم القيامة كما ذكر الله تعالى - [00:18:09](#) في يوم كان مقداره خمسين الف سنة في سورة الحج وان يوما عند ربك كالف سنة ما تعدون. وفي وفي اه وفي السجدة ثم يعرج يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون - [00:18:30](#) لاحظ انهم موافقة مما تعدون مما تعدون في ايتي الحج والسجدة اما في سورة المعارج لم يذكر مما تعدون بل قال تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فاصبر صبيرا جميلا - [00:18:52](#) هذه الاية قدم المؤلف رحمه الله بمقدمة تشعر بانه وان لم تدرك جوابا واضحا صريحا يشفي ما في نفسك من ماء يتعلق باختلاف العد فان ذلك ليس بغريب فقد جرى هذا لابن عباس - [00:19:14](#) وهو حبر الامة ترجمان القرآن فانه قد سئل رضي الله تعالى عنه عن هذه الاية فلم يدري ما يقول ويقول لا ادري بل وهذا احد وهذا احد المنقول عنه نقل عنه آآ رحمه الله رضي الله تعالى عنه - [00:19:38](#) آآ قول اخر وهو ان الاختلاف في هذا بالنظر الى اختلاف احوال الناس يوم القيامة نقل عن ابن عباس بالجمع بين هاتين الايتين انه بخ بالنظر الى اختلاف احوال الناس يوم القيامة - [00:20:00](#) على الوجه الذي اه ذكره رحمه الله في الوجه الثاني فنقل عن ابن عباس نفي العلم والتوقف ونقل عنه الجمع واما سعيد بن المسيب فقد سئل عن الاية فلم يجب. فقال له السائل الا اخبرك - [00:20:19](#) بما قال فيها ابن عباس فاخبره بانه توقف فقال توقف فيها وهو اعلم مني فيعني فلا تثريب علي الا اجيب في بيان وجه الجمع بين الايات. لكن اليقين في مثل هذه هذه الايات التي قد لا يصل فيها الانسان الى الجواب المنفصل - [00:20:40](#) اليقين انه لا تعارض بينما اخبر الله تعالى به كما قال تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا. فما اخبر الله تعالى به متوافق الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها. اي يصدق بعضه بعضا. ويوافق بعضه بعضا - [00:21:01](#) ثم ذكر المؤلف رحمه الله بعد ان قدم بهذه المقدمة جوابين. الجواب الاول ما اخرجه ابن ابي حاتم من طريق سماكة عن عكرمة عن ابن عباس من ان يوم الف في سورة الحج هو احد الايام الستة التي خلق الله فيها السماوات والارض - [00:21:22](#) ويوم الف في سورة السجدة هو مقدار سير الامر وعروجه اليه تعالى ويوم الخمسين الفا هو يوم القيامة فثمة ثلاثة ايام يومان متطابقان عدا ومختلفان موطوعا اما اختلاف الموضوع بالنظر الى ان اية الحج - [00:21:43](#) تتعلق بالايام الست التي خلق الله تعالى فيها السماوات والارض واما اما اليوم الذي في سورة اه آآ السجدة فهو تقدير مسافة سير الملائكة في عروجها ونزولها بهذا القدر ويوم الخمسين الفا هو يوم القيامة. وقد ذكرت انه لا خلاف بين العلماء في ان - [00:22:10](#) اليوم المذكور في سورة المعارج هو يوم القيامة وقد استشكل بعضهم ان تشكى بعضهم هذا التأويل ان الايام الست لا يعلم حقيقتها فهي ليست بايام الدنيا هكذا قال بعض المفسرين - [00:22:37](#) لان الله تعالى خلق السماوات والارض قبل ان يوجد اليوم المعهود بليلة ويوم باربعة وعشرين ساعة. لكن هذا الكلام غير صحيح لان الله تعالى اخبرنا بما نعرف وقد جاءت الاحاديث مؤكدة هذا المعنى وهو ان الخلق زمانه - [00:22:54](#) بزمان ايامنا المعهودة وان كان ذلك قبلها لكن قد يقدر الشيء قبل وجود مثل الان نقدر قيم النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الكسوف باربع ساعات والساعة ستون دقيقة لكن هذا لم يكن موجودا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم. فهو تقدير حادث بالنظر الى - [00:23:19](#)

معيار وآآ وسيلة القياس التي يعتمدنها الناس في هذا الزمان واضح المعنى فلا اشكال في هذا لا يرد على هذا الوجه بمثل هذا بل يقال هذا رأي في في توجيه الاية اما الوجه الثاني ان - [00:23:38](#) بجميعها يوم القيامة يعني جميع هذه المذكورات الايام المذكورة هي يوم القيامة وانما اختلف باعتبار حال المؤمن والكافر ويدل لهذا قوله تعالى لذا اه فذلك يوم يومئذ يوم العسير على الكافرين غير يسير - [00:23:57](#) اي ان طوله على الكافر بهذا المقدار واما اهل الايمان فانهم يقصر في حقهم بحسب ما معهم من ايمان وتقوى وقد اشار الى هذا المعنى في اضواء البيان في اه عدد من المواضع - [00:24:21](#) وفسر به قوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا قال في قوله واحسن وقيل ان حساب المؤمن ينقضي في منتصف النهار لانه قال ما قليلا والمقيل انما يكون في منتصف النهار - [00:24:42](#) وبالتالي يكون الامر متفاوتا بين حساب اهل الايمان وحساب غيرهم او بين شدة اليوم بالنسبة لهم لاهل الايمان وشدة اليهم بالنسبة لاهل الكفر - [00:25:05](#)